صقر الصحراء

عبد الواحد راغب

ان تاريخ المملكة العربية السعودية حقل خصب ، وينبوع دافق لرواده ، ولعل دورها البارز بين الدول العربية والاسلامية ، ومكانتها المجللة بالتقدير والاكبار بين دول العالم دفع العديد من المؤرخين والكتاب والباحثين لدراسة تاريخها الحافل بالامجاد والبطولات ، وبالمادة الغزيرة التى يشتهيها كل مؤرخ وباحث .

ولعل كتاب «صقر الصحراء» محاولة من المؤلف لعرض تاريخ المملكة بأسلوب أدبى سهل ، يستسيغه القارىء ، لاسيما وأنه عرض تاريخ الامام فيصل بن تركى ، على نمط الحوار الروائى والتمثيل القصصى التاريخى ، بين شخصيات استعار لها اسماء، قامت بأدوار بطولية ، ليسرد من خلالها وقائع التاريخ واحداثه في عهد الامام فيصل بن تركى• وبعد الفصل الاول وحتى النهاية يعرض الاحداث دون حوار أو شخصيات •

والكتاب يقع في ٤٧٧ صفحة من الحجم المتوسط ، ويضم سبعة فصول ، ومقدمة •

في المقدمة : عرض موجز للانسان العربى وبيئته الصحراوية ، الى أن جاء الاسلام واتسعت رقعته ، وتاريخ الدعوة السلفية ، واللقاء التاريخى بين الشيخ محمد بن عبد الوهاب والامام محمد بن سعود • وقال ان كتابه يحوى بين دفتيه تاريخ الفترة الزمنية من عهد فيصل ابن تركى الى عهد فيصل بن عبد العزيز •

وفي الفصل الاول : استعرض بناء الدولة السعودية الثانية ، ابتداء من تاريخ عودة الامام فيصل بن تركى من منفاه ، ونضاله في سبيل استعادة الملك ، وكان ذكره للأحداث والوقائع على سبيل الحوار ، والعرض القصصى الذى تميل له أحيانا النفوس ، ويجذب انتباه القارىء

الفصل الثانى : استعرض فيه جهود الامام عبد الرحمن بن فيصل في سبيل انقاذ الدولة ورفضه لمغريات الدولة العثمانية ورحيله الى الحسا والبادية ، وقطر ، والكويت ، والنزاع بين الكويت وبين امارة حائل ، واستعانة أمير الكويت بالامام عبدالرحمن ، وبابنه عبد العزيز في حربه مع ابن الرشيد ، ونجاح عبد العزيز ، وهو ما زال شابا صغيرا ، في احتلال الرياض ، ورحيله عنها بعد أن بلغه نبأ موقعة الصريف ، ثم وثبته الرائعة في العام التالى ، ووصف لتلك الليلة التاريخية التى حمل صباحها لاهل الرياض نبأ استيلاء الملك عبد العزيز على الرياض في ٥ شوال سنة ١٣١٩هـ بأربعين من أخوته وأهله وأصدقائه • ثم المواجهة بين عبد العزيز وابن الرشيد ،

والحروب الطاحنة بينهما ، ونجدته لامير الكويت في حربه مع ابن الرشيد ، ومساعدة العثمانيين لابن الرشيد .

الفصل الرابع : خوف الدولة العثمانية من توالى انتصارات عبد العزيز ، وتعاظم قوته وزعامته يوما بعد يوم . ومحاولات الدولة العثمانية جعل منطقة القصيم تحت سيطرتها واشرافها بدعوى حدود منزوعة السلاح بين نجد وحائل ، ورفض الملك عبد العزيز لكل تلك المحاولات ، ثم تكلم عن مشروع الهجر ، ثم محاولة تدخل بريطانيا في المنطقة لحل النزاع ووضع حد للحروب ، ومؤتمر العقير ، ودخول الشريف حسين الى حلبة الصراع ، وموقف كل من هذه الاطراف في الحرب العالمية الثانية ، ثم استيلاء الملك عبد العزيز على جبل شمر ، وعسير ، ودخول الامير فيصل بن عبد العزيز ميدان الحرب لاول مرة ، ثم انهيار حكم الشريف حسين في في الحجاز .

ويلاحظ هنا أنه كرر عنوان « الفصل الرابع » مرتين ، فجاء أولا في صفحة ٢١٥ ، وثانيا : في صفحة ٢٧٥ . وكان الاصح أن يكون بدله هنا « الفصل الخامس » ترتيبا . ثم جاء بعد ذلك في صفحة ٣٧٧ وذكر « الفصل الخامس » والاصح أن يكون بدله « الفصل السادس » لكنه جاء الترتيب صحيحا في الفصل الاخير ، فقد كتب « الفصل السابع » . ونظن أن خطأ الترتيب هذا جاء عند الطباعة .

الفصل الخامس : بحث شئون الحجاز بعدفتحها، ودور الفيصل كنائب للملك ، ورئيس لمجلس الشورى في الحجاز ، وعلاقة المملكة بالدول العربية ، ودورها في المجتمع الدولى ، واكتشاف النفط بها ، وعهد الملك سعود .

في الفصل الاخير تكلم عن الملك فيصل ، القائد ، فيصل السياسى ثورة اليمن ، عهد النهضة والتقدم والانطلاق .

وتحت عنوان « الفيصل نائب الملك » قال : أدرك الملك عبد العزيز بعد فتح الحجاز أن مواردها تقتصر على الحج فاهتم اهتماما بالغا بتأمين راحة الحجاج وسلامتهم وتوفير المياه والطعام والمواصلات والاشراف الصحى لهم . وظل سنتين متواليتين في الحجاز دون أن يزور الرياض ، حتى اطمأن الى تنظيم شئونها في كل المجالات، ثم أقام نجله فيصل نائبا له في الحجاز ، ورئيسا لمجلس الشورى في أوائل صفر سنة ١٣٤٥ ، وبرهن الامير فيصل

عن مقدرة فائقة في تسيير أمور الحجاز بالرغم من صغر سنه ، ساد العدل ، ونشرت الحرية والسلام والطمأنينة اجنحتها الوارفة على أرض الحجاز ٠

وعندما اندلعت الحرب العالمية الثانية ، وقفت المملكة على الحياد من الصراع القائم بين الحلفاء ودول المحور ، غير أن هذا الحياد لم يمنع كبار الرجال الرسميين والعسكريين البريطانيين والامريكيين من زيارة المملكة حاملين لعاهلها رسائل المحبة والاحترام والاجلال ورأى الملك عبدالعزيز أن يرد على تلك البادرة الطيبة بالمثل فأوفد نجليه الاميرين فيصلا وخالدا الى الولايات المتحدة الامريكية ، وبريطانيا في شوال سنة ١٣٦٢هـ فأجريت لهما استقبالات رسمية وشعبية رائعة ، وقام الاميران باجراء مباحثات سياسية واقتصادية وثقافية ، وحازا اعجاب تشرشل وروزفلت ٠

ولفت الامير فيصل نظر الرئيسين الى أن الصهيونية العالمية طامعة في فلسطين ، وتحقيق ذلك لها سيثير العرب ، ويؤدى الى حرب ضروس لايعلم الا الله ماذا تكون نتائجها ، ولم يهتم الرئيسان الامريكى والبريطانى يومذاك لهذا التحذير ، الا أن تشرشل ذكر بعد حوالى عشرين عاما في خطاب له بمجلس العموم تلك التحذيرات ، وقال : « ان الامير فيصل بن عبد العزيز حذرنا منذ سنوات بعيدة من الكارثة ، وهانحن قد وصلنا الى ما حذرنا منه ذلك الامير العربى الذكى »٠

العهد الفيصلى

قال المؤلف في الفصل السابع تحت عنوان « العهد الفيصلى » ان الملك فيصل أديب واسع الاطلاع ، يتذوق الشعر ، ويطرب له ، ويحفظ الكثير من الشعر العربى القديم والحديث ، ويقرب الى مجالسة العلماء والادباء والمتخصصين في كل فن ، وهو خطيب مفوه يملك موهبة الخطابة بطلاقة وحجة وبرهان واقناع يملك به افئدة سامعيه ، وهو محدث لبق يجيد الانجليزية ويتقن الفرنسية ، وقد أثار اعجاب الملوك والرؤساء والعظماء والاجانب الذين اجتمع بهم ٠

هو في عدالته مضرب الامثال فمن مآثر جلالته ، ورغبته في معاملة أولاده كافراد الشعب ، أن أحد انجاله الامراء نال شهادة جامعية عالية في الفنون العسكرية والتحق بالجيش السعودى ، فأرسله رؤساؤه الى بلدة نائية بعيدة ، فلم يرتح الامير للاقامة

فيها ، ورغب في أن تكون له معاملة خاصة ، ووصل النبأ الى جلالة الملك فرفض طلب ابنه رفضا باتا ، وكتب اليه يقول : « اذا أردت أن تكون ضابطا فكن كسائر الضباط والعسكريين ، أما اذا أردت أن تكون أميرا وابن فيصل فقط فاعتزل عملك وتعال الى ·· » فما كان من ابنه الامير الآن رضخ وكتب الى والده قائلا : « أنا عسكرى سعودى ، وسأعيش كما يعيش زملائى ياصاحب الجلالة »

والامير عبد الله الفيصل شاعر رقيق ، ينساب الشعر من بين ثناياه كالجدول الصافى الرقراق ، وكان يتولى منصب وزير الداخلية ، أتى الى والده قائلا : « أرجو ياصاحب الجلالة أن تسمحوا لى بالاستقالة من منصبى الوزارى » وعندئذ سأله والده عن السبب فقال : « لانى أريد العمل في حقل المهن الحرة» وفكر الملك قليلا ثم قال :

« سيقال انك تعمل في مهنة حرة لانك تعتمد على مركز أبيك ، وهذا مالا أرضاه ، ولا أقبل به ، قال الامير الشاعر : « وهل يجوز أن أقصى عن العمل الحر لاننى ابن ملك ؟ ان ذلك مالا يرضيك ياصاحب الجلالة » وتم الاتفاق بعد هذا الحديث الصريح بين الوالد والابن على ألا يعتمد الامير على والده في أى عمل يتعلق بعمله الحر ، وعلى ألا يقف الاب في سبيل مهنة ولده ·

وعندما أكمل ابنه الاميرمحمد علومه العليا في الاقتصاد من أمريكا ، واسند اليه عمل في مؤسسة النقد ، حاول رئيسه أن يمنحه درجة استثنائية ، فما كان من الملك فيصل الا ان غضب وأصر على أن يعامل ابنه كما يعامل أى موظف في المؤسسة ·

والملك فيصل أخذ عن والده الملك عبد العزيز الجرأة والشجاعة ، والحزم والوطنية ، والاخلاص للعقيدة الاسلامية السمحة ، كما أخذ عن جده ، والد أمه ، الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف آل الشيخ التقوى والورع والتدين والتبحر في العلوم الدينية ، وورث عن جده الامام عبد الرحمن الكثير من الفضائل ومكارم الاخلاق ـ رحمه الله رحمة واسعة ·

عبد الواحد محمد راغب
دارة الملك عبد العزيز